نشأة المدارس في الإسلام

(المدرسة النظامية نموذجا)

أ. رابح أولاد ضياف

جامعة 8 ماي 45 قالمة

المقدمـــــــة:

كانت الجوامع والمساجد المراكز التعليمية الأولى منذ فجر الإسلام، والتي تلقى فيها المسلمون مختلف العلوم الدينية والأدبية والتاريخية وغيرها، وظلت تؤدي هذا الدور الحضاري طيلة القرون الأولى من التاريخ الإسلامي إلى غاية أواخر القرن الرابع الهجري (التاسع الميلادي)، حيث اهتدى المسلمون إلى تأسيس المدارس للتعليم على الرغم من أن دور الجوامع والمساجد قد ظلت مضطلعة بهذه المهام التعليمية حتى بعد ظهور المدارس.

لذلك سنحاول البحث من خلال هذا الموضوع مناقشة أسباب ظهور المدارس ونشأتها واختلاف المؤرخين في ذلك ،كما سوف نقف على المدلول والمفهوم الاصطلاحي للمدرسة ومختلف الآراء حوله، وسنعرض كذلك لأول المناطق التي ظهرت بها المدرسة ،وهل أن نظام الملك السلجوقي (ت:485 هـ/1090 م)هو أول من أنشأ المدارس النظامية(الرسمية)أم أن هناك من سبقه في هذا المجال، ثم هل كان بناء المدارس لأسباب مذهبية دينية بحتة أم هناك أسباب أخرى تراوحت بين السياسية والثقافية وحتى الشخصية، كما سنبحث عن طرائق تمويلها وكيف كانت تصرف على المدرسين والطلاب. وأخيرا سنعرج إلى التعريف بأولى المدارس نشأة ثم انتشارها في العالم الإسلامي نيسابور وخراسان إلى بغداد وبلاد الشام ومصر ثم بلاد المغرب.

1- مفهوم المدرسة الإسلامية:

أ- المعنى اللغوي للمدرسة: يقول ابن منظور في لسان العرب[1]: دَرَسَ الكتاب يَدْرُسُهُ دَرْسًا ودِرَاسَةً ودَارَسَهُ كأنه عانده حتى انقاد لحفظه، وقيل دَارَسْتَ: قرأت كتب أهل الكتاب، ودارست ذاكرتهم، قال: وروي عن ابن عباس في قوله عز وجل:(وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)[2] قال: معناه وكذلك نبين لهم الآيات من هنا ومن هنا ولكي يقولوا إنك درستَ، أي تعلّمْتَ أي هذا الذي جئت به عُلِّمْتَ، وقرأ ابن عباس «مجاهد :دارستَ وفسرها قرأتَ على اليهود وقرأوا عليك، وقرئ :ويقولوا درستَ أي قرأتَ وتليت. ودرستُ الكتاب أدرسُهُ درسًا أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه علّي، من ذلك قول كعب بن زهير

وَفي الحُكْمِ أَذْهَانٌ وَفي العَفْوِ دِرَاسَةٌ وَفي الصِّدْقِ مَنْجَاةٌ مِنَ الشَّرِ فَاصْدُقِ

ويظهر أن لفظ المدرسة هو لفظ مشتق في لغة العرب، فقد ورد في قولهم (هذه مدرسة النعم) أي طريق النعم، واللفظ (دَرَسَ) له عدة معان، فقد يرد بمعنى قرأ كما ورد في القرآن الكريم (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ)[3] أي قرأوا ما فيه ،كما تأتي بمعنى امحى فيقال درستِ الآثار أي امحت ،وقد أخذ الجاهليون مصطلح (مدارس) من العبرانيين من لفظة (مدراش)medrash التي أصلها (درش)darash التي تقابل (درس) في اللغة العربية وتؤدي هذه الكلمة المعنى المفهوم من لفظة (درس) العربية تمام الأداء[4]. وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة وجاوروا اليهود فيها رأوا لهم بها "مداريس" جمع "مدراس" يعلمون فيها صبيانهم التوراة والخط العبري، ولذلك قيل في زيد :(يلعب بين صبيان اليهود في المكتب) وورد في حديث علي -رضي الله عنه- أنه رأى قوما قد سدلوا ثيابهم وهم في الصلاة فقال: (كأنهم اليهود خرجوا من قُهرهم) قال أبو عبيدة في تفسير القُهر: موضع مدراسهم الذي

---

1 محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال بن علي بن منظور الأنصاري:لسان العرب ،مادة (درس)،بيروت :دار إحياء التراث العربي،(د،ط).

2 سورة الأنعام الآية 105.

3 سورة الأعراف الآية 169.

4 سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د،ط)،1986، ص303.

يجتمعون فيه كالمعبد يصلون فيه ويسمعون كتبهم،وفي رواية (خرجوا من قُهُورهم) فالمدارس عندهم كالمدرسة عند المسلمين بعد نشأة المدارس. وورد في معاجم اللغة قولهم "واجتمعت اليهود في مدارسهم وهو بيت تدرس فيه التوراة "و "المدراس فهو البيت الذي يدرسون فيه"[1]. فلفظ المدرسة من الألفاظ المولدة عند العرب، وأصلها مأخوذ من العبرانية أو الآرامية: مِدْرَاس أو مِدْرس وجمعها مداريس ثم خففت فأصبحت تجمع مدارس ،واشتقاق لفظة مدرسة في لغة العرب يرجع إلى القرن الثالث الهجري حيث ورد لفظها في قول دعبل الخزاعي من شعراء تلك الفترة إذ قال:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلاَوَةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مَقْفِرَ العَرَصَاتِ

ولفظ مدارس في البيت الشعري تصح أن تكون جمع (مَدْرَس) و(مَدْرَسَة)[2].

ب- المعنى الاصطلاحي للمدرسة الإسلامية: تعرف المدرسة عند الباحثين بعدة تعريفات مدارها حول الطبيعة العمرانية للمدرسة وكذلك نمط التعليم الذي تقدمه تلك المدارس، والذين يقومون بالعملية التعليمية بها، وكذلك طبيعة الجهة التي تقوم بتوفير الخدمات بالمدرسة ومن أهم هذه التعريفات هي:

أ- الأماكن التي أسست لنشر نوع خاص من المعرفة تحت إشراف الدولة التي تنفق عليها الأموال وتحبس لها الأوقاف، وتراقب التعليم فيها، تعهد لفئة صالحة من الناس وهم المعلمون ليقوموا بتدريس المتعلمين وتثقيفهم ،ويختارون وفق لوائح خاصة يضع الواقف شروطه فيها ،وتقدم لهم الأموال والأرزاق ،ويجاز فيها المتعلمون بما تعلموا من ضروب المعارف النقلية والعقلية[3].

ب- وهي تلك الدور المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم، وتدر عليهم فيها الأرزاق، ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء، ويوسع عليهم

---

1 نفسه ص303.

2 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى،بيروت،المكتبة العصرية ،ط1، 1995،ص11.

3 محمد منير سعد الدين: دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، دار بيروت المحروسة، بيروت، (د.ط)، 1992، ص48.

الرزق، ويختارون بحسب شروط الواقف، ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للقيام به، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف، وكانت هيئة التدريس في الجملة لا تختلف عن هيئة المساجد[1].

جـ - كما تعرف بأنها بنيان خيري فيه ما شابه من الدور والقصور والمساجد والربط، وتتميز دراستها عن الدراسة الكتابية والدراسة المسجدية بالتعليم العالي، والاقتصار على التدريس والتعليم، وعلى الاشتمال على الوعظ المشرب بالتعليم على طريقة المساءلة والمجاوبة مشافهة أو كتابة[2].

د -وهناك من الباحثين من يرى أن اسم المدرسة يطلق على المكان الذي فيه بيوت للطلبة وأرزاق، ويعتقد أن بعض المدارس لم يكن فيها بيوت إلا أنهم يرون أن المدرسة لم تطلق إلا على المكان الذي فيه بيوت للطلبة ومعاليم أي مرتبات دارة لهم ولمن يقوم بالتدريس[3].

لذلك فمضمون هذه التعريفات أن المدرسة هي منشأة عمرانية أسست من أجل أداء مهمة التدريس يقصدها طلاب العلم من أجل التحصيل العلمي على أيدي أساتذة أكفاء ،وقد يكون أولئك الأساتذة من العلماء الأعلام، تعتمد على نظام تعليمي منظم ،وتقدم خدمات مجانية للطلبة القاصدين لها وتتكفل بذلك جهات خيرية سواء كانت نظامية أو خاصة.

2- نشأة المدارس في الإسلام:

تعددت الآراء حول نشأة المدارس في الإسلام عند المؤرخين القدامى والباحثين المعاصرين وكذلك الدراسات الاستشراقية المهتمة بالتراث الإسلامي، فقد أورد ابن خلكان أن الوزير نظام الملك(408-485 هـ/ 1017-1090م)هو أول من أنشأ المدارس فاقتدى به

---

1 أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د،ط)،1972، ص30.

2 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص12.

3 كامل حيدر : العمارة العربية الإسلامية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص25 26.

للعلم، وفي جانب الزهد والصلاح التي بلغها فقهاؤها حتى عرفوا بالشافعيين في بغداد، وبيت وليسبور، وهراة، وأصبهان، والبصرة، ومرو، وآمل، والموصل[2]. وليس من شك في أن المدارس قد شيدت في القرن الرابع الهجري قبل أن يولد نظام الملك، غير أنه كان له الفضل في إنشاء المدارس الكثيرة وتقرير المعالم فيها فعرفت بالنظاميات[3]. ومن الشواهد الدالة على نشأة المدارس قبل المدارس النظامية التي شيدها نظام الملك:

1- ما ذكره المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم قال:(فقد تفقّهتُ وتأدّبتُ وتزهدتُ وتعبدتُ وفقّهتُ وأدّبتُ وخطبتُ على المنابر وأذنت على المنائر وأقمت في المساجد وذكّرت في الجوامع واختلفت إلى المدارس)[4]، فالمقدسي من أهل القرن الرابع، توفي سنة 378 هـ / 988 م والمدارس كانت معروفة في زمنه، كما قال أيضا في وصف مدينة الري (الري بلد جليل.. وبه مجالس ومدارس)[5].

2- ووصف مدينة أيرانشهر فقال: (ايرانشهر هو مصر الجانب، وقصبة نيسابور... بلد الأجلة والراسخين من الأئمة..وأسواق فسيحة، ومجالس أليفة، ومدارس رشيقة)[6].

3- وقال السبكي في رده على الذهبي (وشيخنا الذهبي زعم أنه-أي نظام الملك- أول من بنى المدارس[7]، وليس كذلك فقد كانت بنيسابور مدارس متعددة منها المدرسة البيهقية التي أنشأت قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعدية بناها الأمير نصر بن سبتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور، ومدرسة ثالثة بناها أبو إسماعيل بن

---

1 ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)،1995، ج2، ص128.

2 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص13.

3 سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام، مطابع جامعة الموصل، الموصل، (د، ط) ،(د،ت)، ص74.

4 شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ / 1991 م، ص44.

5 نفسه، ص390.

6 نفسه، ص315.

7 الذهبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ط)، (د، ت) .ج33، ص146.

علي بن المثنى الأسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب، ومدرسة رابعة أيضا أنشأها الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني)[1].

4- كما ذكر السبكي عدة مدارس شيدها أهل نيسابور منها ما كان قبل نظام الملك حين ترجم لأبي الوليد حسان بن محمد بن أحمد النيسابوري الشافعي(كان إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد من رأيت من العلماء، وأعبدهم، و أكثرهم تقشفا، ولزوما لمدرسته وبيته)[2].

5- وذكر السبكي أيضا في طبقاته الكبرى، عندما ترجم لمحمد بن عبد الله بن حمشاذ (ت 388 هـ/998 م) فقال (تجنب السلاطين وأوليائهم إلى أن خرج من الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته)[3].

6- ومدرسة ابن حبان التميمي أبو حاتم(ت 354 هـ/965 م) والذي كانت داره مدرسة لأصحابه ومسكنا للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة ولهم جرايات يستنفقونها وداره فيها خزانة كتب[4].

7- وقد ورد ذكر المدرسة في قول بديع الزمان الهمذاني (ت: 398 هـ/1007 م) في رسالته لأبن أخته (أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك، والدفتر أليفك، فإن قصرت ولا أخالك فغيري خالك والسلام)[5].

---

1 السبكي تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1 ،1964، ج 4، ص 314.

2 السبكي: المصدر السابق، ج3، ص226-227.

3 نفسه، ج3، ص180.

4 السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي :الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحي اليماني، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د،ط)، 1980، ج2، ص 210 . ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1408 هـ/ 1988 م، ج1، ص 35.

5 أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني : رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، مطبعة الجوائب بالأستانة العلية، الأستانة، ط1، 1298 هـ، ص 231.

8- وقد ورد في رسائل الهمذاني إشارة كذلك إلى المدرسة النصرية التي أنشأها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله في دمشق سنة 391 هـ / 1000 م.

9- وذكر السبكي كذلك مدرسة ابن فورك بنيسابور في ترجمته للإمام محمد بن الحسن بن فورك أبي بكر الأنصاري الأصفهاني الذي توفي سنة 406هـ/ 1015 م، ورد في الترجمة عن الحاكم بن عبد الله (فقدمنا إلى الأمير ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم والتمسنا منه المراسلة في توجهه- أي ابن فورك إلى نيسابور- فبنى له الدار والمدرسة، وأجرى الله له ببلدتنا أنواعا من العلوم)[2]. وعليه فمدرسة ابن فورك بنيت قبل سنة 406 هـ/ 1015 م وقبل ميلاد نظام الملك بسنتين.

10-كما ذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء في ترجمته لعلي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب فقال: (وقد عمل له أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن عمرو مدرسة باسمه في محلة اسفريس في رمضان سنة عشر وأربعمائة، وأثرها باق إلى الآن)[3].

11- ومدرسة الأسفرايني (ت:418 هـ/1027م) كانت مدرسة مشهورة بنيسابور[4].

12- وكذلك المدرسة التي بناها أبو بكر البستي (ت: 429 هـ/1037 م) لأهل العلم على باب داره بنيسابور ووقف عليها من أمواله وكان من كبار المدرسين والمناظرين[5].

13- ومدرسة البشكي الإمام عبد الرحيم محمد الأديب الواعظ المتوفى سنة 453 هـ/1061 م، ذكر عنه أنه كان (له مدرسة والأصحاب والأسباب والتدريس والمناظرة والنثر والنظم)[6].

---

1 نفسه، ص217.

2 السبكي : المصدر السابق، ج4، ص 128 .

3 ياقوت الحموي الرومي : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ج4، ص 1781.

4 ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص28.

5 السبكي:المصدر السابق، ج4، ص 80.

6 الصفدي، صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي:الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي زكي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ،2000. ج9، ص69.

14- والمدرسة البيهقية التي أسسها الإمام البيهقي (ت: 454 هـ/1062 م) ورد عن أحمد بن عبد الملك النيسابوري (ت: 471 هـ/ 1077 م) أنه كان يؤذن على المدرسة البيهقية احتسابا[1].

15- ولما عرض ياقوت الحموي في ترجمة محمد بن إسحاق بن علي الزوزني (ت 463 هـ/ 1070 م) أنه كان يسكن مدرسة السيوري باب عزرة [2]، وغيرها من المدارس التي شيدت قبل مدارس نظام الملك، فقد أثبتت الوقائع أنها كثيرة يرجع تاريخ بنائها لأكثر من مئة وخمسة وستين عاما، وأن طائفة كبيرة من هذه المدارس قد تسنمها علماء من العرب المشهورين في منطقة خراسان وما وراء النهر ونيسابور[3].

3-أسباب نشأة المدارس في الإسلام:

يعتقد كثير من الباحثين أن نشأة المدارس في الإسلام كان بغرض الدعوة إلى المذاهب الدينية المختلفة، ومنهم من يرى أن ذلك راجع إلى تطور العلوم والمعارف وظهور مواد علمية تستدعي الجدل والنقاش، وهذا يتنافى مع آداب المساجد، وما ينبغي لها أن تكون عليه من الهدوء والسكينة، لأن إقبال الناس على حلقات الدرس المختلفة في المساجد وما ينجم عنها من ارتفاع الأصوات وتعليها مع بعضها، وما تحدثه من الضجيج الذي يخل بآداب الصلاة وخشوعها، لذلك لم يكن من الممكن أن يستوعب المسجد أن تقام في حلقات الدرس وتؤدى فيه العبادة معا. والحقيقة أن الاهتمام بتأسيس المدارس عند المسلمين في العصر الوسيط يرجع إلى أسباب ودوافع مختلفة يمكن إجمالها كالآتي:

أ- الأسباب الدينية: إن اتساع شمولية مفهوم العلم في الإسلام واحتوائه على كل ما ينفع المسلمين في الدنيا والآخرة، ويحقق مصالحهم، ويخدم الشرع الإسلامي من حيث فهم خطابه الوارد في كتاب الله وسنة رسوله، والعمل بمضمون هذا الخطاب ،فكل ذلك يعد علما يجب الأخذ به وتعلمه وتعليمه على وجه الفرض العيني أو الكفائي. لذلك رفع التشريع الإسلامي من قيمة العلم وجعل له مكانة عالية سامية، من حيث أن العلم والمعرفة

---

1 نفسه ،ج7، ص106.

2 ياقوت الحموي : معجم الأدباء، ج6، ص 2428.

3 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص14.

[illegible] كما ورد ذكر العلم ومشتقاته في نحو تسعمائة موضع في القرآن الكريم، الأمر الذي لم يكن لغيره من الحقائق التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى فهو جل شأنه عالم، وعليم، وعلام[2]. لذلك أولى المسلمون أهمية كبرى للعلوم الدينية لأنها مرجع الحياة الإسلامية للفرد سواء في جانبها العقدي أو العملي أو الأخلاقي، وهي المجالات الثلاثة التي تدور حولها أحكام الشرع الإسلامي الذي لا تخرج نصوصه عن ثلاثة محاور وهي العقيدة والعمل والأخلاق. لهذا كان أغلب ما أنتجه المسلمون في تاريخ الحضارة الإسلامية من تراث علمي كان أساسه العلم الديني، ويدخل ضمن إطار العلوم الدينية والعلوم اللغوية، كاللغة والأدب والنحو والبيان، واعتبروا معرفتها والدراية بها أمرا ضروريا على أهل الإسلام، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، حتما. ومنه فإن نشأة المدرسة في الإسلام كان بدافع الحرص على تعلم العلم الديني، توسيعا للدور الذي كان يؤديه المسجد في هذا الإطار، ولم تختلف المدرسة عن الجامع والمسجد سواء في جانبها العمراني أو الوظيفة التعليمية، غير أنها كانت أكثر ملائمة واستعدادا للدراسة بشكل دوري ومستمر، وكذلك ما تشتمل عليه من مرافق لإيواء الطلاب المنقطعين للعلم وما تقدمه لهم من خدمات مجانية، كما أنها تؤدي نفس الأغراض التعبدية التي يؤديها المسجد، فأقيمت بها الصلاة، واستخدمت كمرفق للقضاء والنظر في المظالم. وكانت المدرسة في بداية نشأتها متصلة بالمسجد ولم تنفصل عنه إلا بعد انتشارها في البلاد الإسلامية في القرن الخامس الهجري[3].

ب- الأسباب السياسية: إن الصراع المذهبي كان له أثر كبير في نشأة المدارس في البلاد الإسلامية، عندما اتُخذت المؤسسات التعليمية كوسيلة لمحاربة المخالفين الآخرين ومحو آثارهم، لذلك أقام الفاطميون والبويهيون مؤسسات تعليمية للمذهب الشيعي

---

1 عدنان محمد فايز الحارثي: **عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن (9هـ/15م) دراسة مقارنة**، مطابع جامعة أم القرى: مكة، (د.ط)، 1979، ج1، ص31.

2 محمد البوزيري: **مكونات العملية التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص35.

3 حسن عبد العال: المرجع السابق، ص213.

لمواجهة خصومهم السلاجقه والزنكيين والأيوبيين الذين مثلوا المذهب السني[1]. فالقوة والعنف لم تكن تجدي نفعا لحمل المخالفين على إتباع مذهب السلطة، فكانت النظم التعليمية وسيلة تستخدم لمحاربة ومحو آثار المذاهب المخالفة عوضا عن القوة المسلحة والسجن والتقتيل والتعذيب، وغير ذلك من وسائل الجبر والإكراه، وقهر أفكار الخصوم ومبادئهم، وإنما لا بد من محاربة الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي، وهو ما ينسجم مع منهج أصول الإسلام في الحوار وإقامة الحجة ومقارعة الدليل بالدليل[2]. ومن مظاهر اتخاذ المدارس لذلك الغرض ما قام به السلاجقة بعد حكمهم للعراق ودخولهم بغداد في 25 محرم 447 هـ/1055 م فأنشأوا المدارس في العالم الإسلامي، حيث بنى نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان المدرسة النظامية في بغداد سنة 459 هـ/ 1066م[3]، وذلك لمواجهة الفرق المناوئة لأهل السنة من الشيعة وغيرهم[4]. كما أن هذه السياسة التي اتبعها السلاجقة يحكمها تقدير المصلحة، حيث لاحظ نظام الملك أن الأخطار المحدقة بالدولة هي حالة الانقسام التي صارت عليه الخلافة العباسية، وشيوع الفرق الإسلامية التي عبثت بالوحدة العقدية للأمة، إلى جانب التيارات الفكرية الأخرى للفرق الكلامية التي أدت إلى تعدد الأهواء والمذاهب والفرق المنحرفة كالباطنية التي استفحل أمرها في ذلك العصر وكثرة المتزاحمين على السلطة، إلا أن فطنة نظام الملك كحاكم عاقل حكيم عمل على استمالة الأعداء وموالاة الأولياء ،فاتبع سياسة الإحسان حتى عم العدو والصديق والبغيض والحبيب ودعم تلك السياسة ببناء دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الربط للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء وأرصد الأوقاف لطلبة العلم وغيرهم[5] حيث قدرت النفقات التي بذلها في هذا السبيل 600.000 دينار في

---

1 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 16.

2 سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص356.

3 ابن خلكان :المصدر السابق، ج2، ص129. أبو محمد اليافعي اليمني المكي: المصدر السابق، ج4. ص104. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج33، ص146.

4 مصطفى محمد متولي:مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ،دار الخريجي، الرياض،(د،ط)،1992، ص211.

5 ابن الأثير أبو الحسن علي الشيباني : الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1977، ج8، ص 481. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات

السنة على نظامياته التسع التي تحو 47 ألف دينار لكل مدرسة، وكان نظام الملك يرمي من وراء ذلك إلى توجيه الرعية وجهة تخدم مصلحة الدولة من أجل بعث الاستقرار والسكينة والأمن[1]. كما أنفق أموالا عظيمة على النظامية الأمر الذي دعا خصومه إلى الوشاية به إلى السلطان ملكشاه حين قالوا له:(إن الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشا يركز رايته في سور القسطنطينية)[2]، فاستدعى السلطان الوزير نظام الملك واستفسر عن الأمر فقال:«يا سلطان العالم، يا ملك البسيطة...قد أعطاك الله تعالى وأعطاني بكم ما لم يعطه أحدا من خلقك، أفلا تعوضه عن ذلك في حملة دينه، وحفظة كتابه العزيز، بثلاث مائة ألف دينار. ثم أنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال، مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلا، ولا يضرب سيفه إلا ما قرب منه، وأنا أجيش لك بهذا المال جيشا تصل من دعائهم سهام إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله[3]» . لذلك كله تضمنت سياسة نظام الملك ضمان مصلحة الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية في نفس الوقت، من خلال مراعاة التوافق والانسجام بين مؤسسات الدولة والسلطنة، وإزالة أسباب الخلاف بينهما، والأمر الثاني وهو الدفاع عن العقيدة الإسلامية من كل ما يشوبها من التيارات الفكرية المنحرفة لا سيما التشيع، وذلك عن طريق نشر العلم وتشجيع العلماء وإنشاء المراكز التعليمية[4].

إلى جانب ذلك فقد توفرت الرغبة عند بعض الحكام في نشر المذهب الذي يتعبدون عليه، فقد كان نظام الملك أشعريا شافعيا ملتزما بمذهبه في وقت ظهرت فيه آراء وأفكار متباينة

دار مكتبة الحياة ، بيروت، (د،ط)، (د،ت) ، ج3، ص 223 224.

1 حسين أمين: المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم ،مقال من مجموعة البحوث التي ألقيت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور احمد فكري« 16 20 » أكتوبر1976. مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1983.ص105.

2 ابن الأثير : الكامل،ج7 ،ص67.

3 صدر الدين علي بن ناصر الحسيني : زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ، بيروت، ط1، 1985، ص141 142.

4 مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، ط1، 1987، ص175.

منتشرة في الدولة الإسلامية مثل فرقة المعتزلة والباطنية وغيرها من الفرق من أصحاب الكلام والنحل، وقد كانت مساعي نظام الملك ترمي إلى خدمة مصالح الدولة، وتحقيق الاستقرار لذلك عمل على رعاية هذه السياسة من خلال ممارسة الوصاية على مقررات الدراسة بالنظاميات والتأكيد على التزامها بتلك الثوابت التي أساسها المذهب والعقيدة[1]. وقد عمد نظام الملك إلى إحكام سيطرة الدولة على المدارس التي أنشئت في عهده ومن بعده، وصارت هذه السياسة تقليدا عند جميع الملوك والسلاطين في عصره كنور الدين محمود في الشام وصلاح الدين في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية، وتجلت هذه السياسة من خلال خدمته للعلوم الدينية تأييدا للمذهب الشافعي مذهب دولته، وتعزيزا للخلافة العباسية في بغداد. وعمل نظام الملك على إلغاء أجرة التعليم التي كان يدفعها الطالب لمعلمه، وجعل الدولة هي من تتولى ذلك [2]، وقد ذكر السبكي في طبقاته ما يؤكد هذا بقوله(وقد أدرت فكري وغلب على ظني أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة)[3]. كما كان للمدارس دور في خدمة السياسة، فقد آزر العلماء السلطة وأعانوها، فكانوا يعملون على نصرة المذهب الذي تتبعه، وقد كانت السلطة واعية بهذا الدور الذي يؤديه العلماء لذلك عمدت إلى إسناد مناصب التدريس في المدارس إلى كبار العلماء ممن يشهد لهم بالقدرة العلمية والفكرية، وما يتمتعون به من مكانة روحية وقيادية عند الأمة، حتى يستطيعوا أن يؤثروا على العامة، كما يمكن من خلالهم تكوين رجال متشبعين بالعلم والإيمان للتصدي للأخطار المحدقة التي تهدد الدولة لا سيما في مجال الفكر والعقيدة وأمور الدين المختلفة[4]. وكان للخلفاء مكانة لدى العلماء الذين نظروا باهتمام إليهم إدراكا للدور الذي يؤدونه في حياة الأمة، ولأهمية المنصب الذي يتولونه، لذلك حظي الخلفاء بمكانة كبيرة لدى العلماء، وقد ظهر هذا الاهتمام جليا في مؤلفاتهم

---

1 محمد علي الرجوب: الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي(132/656هـ)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، (د، ط)،2003، ص19.

2 عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة دارالبصري، بغداد،ط1966،1، ص13 14.

3 السبكي: المصدر السابق، ج3، ص173.

4 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 16.

وعصبياتهم ووعظهم وتحزبهم على تأكيد وجوب طاعتهم وإعانتهم، فاستفاد الخلفاء من هذه الطبقة، فأثر ذلك حق الاحترام والتوقير[1].

ج- الأسباب الثقافية: رغبة كثير من الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء والولاة والعلماء الذين كان لهم شأن كبير في مجال العلم والاهتمام به وبأهله في نشره وتيسير أسباب الحصول عليه وطلبه، فسخروا لذلك كل الوسائل المتاحة أمام العلماء وطلبة العلم في سبيل تحصيل العلم وتعليمه، ومن مظاهر ذلك الاهتمام هو بناء المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدارس. ومن الأمثلة الشاهدة على مظاهر ذلك الاهتمام، أولئك الخلفاء المسلمون الذين اقترنت أسماؤهم باحتضان العلم وحملة لوائه، ورجال السلطة أمثال نظام الملك ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، الذين عُرفوا بمدى معرفتهم العلمية الواسعة، وجهودهم في نشر العلم بين الناس في المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات التعليمية المختلفة[2].

د- إعداد رجال الدولة العاملين في أجهزتها الإدارية: إن المرافق الإدارية في أجهزة الدولة تحتاج إلى عاملين مؤهلين للعمل بها، مثل الدواوين المختلفة المتعلقة بالنفقات المالية وواردات الدولة من الخراج وغيره، وكذلك المتعلقة بالشؤون التنظيمية كالجيش، والتنفيذية مثل القضاء والمظالم والحسبة، والدينية كوظائف الإفتاء والخطابة وغيرها فكل هذه الوظائف مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبرامج التعليمية التي تقدمها المدارس، فكانت بمثابة تلك المعاهد التكوينية لتخريج العامل المؤهل للعمل بالمؤسسات الإدارية المختلفة للدولة. كانت الدولة الإسلامية بحاجة إلى إعداد خريجين مؤهلين للقيام بالأعمال الحكومية لاسيما الوظائف المرتبطة بالشؤون السياسية، مثل مناصب الإفتاء والقضاء والخطابة وغيرها من الوظائف المختلفة ذات الشأن، فقد زودتِ المدارسُ الدولةَ بطبقة من العلماء والإداريين شغلوا مناصب ووظائف دينية وعلمية لخدمة سياسة الدولة المذهبية[3]. فالسلاطين

---

1 عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين: العلماء والسلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د.ط)، 2009، ص135.

2 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 17.

3 عماد عبد السلام رؤوف: المرجع السابق، ص12.

السلاجقة الأوائل اضطروا إلى الاستعانة باستخدام رجال هم كفاءة وخبرة لبناء الدولة لا سيما في الشؤون السياسية والإدارية في الوزارة وخجابة. وكتاب من أصحاب الخبرة والدراية لدى الدويلات المستقلة في المشرق مثل الغزنويين وغيرهم[1]، ولعل خير دليل على ذلك الوزير نظام الملك الذي تدرب بغزنة أثناء رحلته العلمية لتولي بعض الأعمال الإدارية والحسابية والإنشاء، واستطاع أن يكتسب خبرة كبيرة من خلال رحلته العلمية الطويلة، فتلقى علوما شتى كاللغة العربية والفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام والتاريخ والحساب. وكان يتقن اللغتين الفارسية والتركية إلى جانب اللغة العربية[2].

كانت المدارس التعليمية ملاذا لتكوين النخبة من رجال الدولة، فالذين تعلموا في تلك المدارس لم يكونوا موظفين دينين(مفتين وأئمة..) فحسب فقد صار كثير منهم قضاة ووزراء، وتقلدوا مناصب مختلفة في الدولة، فقد كانت هذه المدارس تكون موظفين هم تأثير على المجتمع من خلال تلك السلطة التي يمارسونها في وظائفهم فيكون وفاؤهم وإخلاصهم مضمون عند السلاطين والحكام من حيث ولاؤهم السياسي والتزامهم المذهبي[3]. هذا فضلا عن ارتباطهم بالدولة التي يتولون وظائفهم فيها من جهة الأرزاق والعطاء وما يجرى عليهم من الرواتب والجرايات الراتبة وما يبذل لهم في سبيل ذلك. ويورد لنا السبكي في ترجمته لأبي إسحاق الشيرازي (ت: 476 هـ/1083 م) وهو أحد شيوخ المدرسة النظامية ببغداد التي خصه بها نظام الملك حيث قال: (خرجت إلى خراسان فما بلغت بلدة ولا قرية إلا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي)[4]، ومن أشهر المدارس التي أنشئت في البلاد الإسلامية في العصر الوسيط هي:

4- المدرسة النظامية ببغداد:

---

1 مريزن سعيد مريزن عسيري: المرجع السابق ص171.

2 مريزن سعيد مريزن عسيري: المرجع السابق، ص174.

3 محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 18.

4 السبكي:المصدر السابق، ج1، ص89.

بدأ في نشأتها سنة 1064م/457هـ إيواء من تعوزهم الحاجة من الطلبة والمتصوفة، ثم أصبح القاصدون من طلبة العلم سنة 1067م/459هـ، وقد أشرف على إدارتها أبو إسحاق أبو لسعد أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري الصوفي، وتعد أول مؤسسة علمية متخصصة في تاريخ الحضارة الإسلامية، أنشأت لتدريس العلوم والشريعة والأدب، واستقبلت الوافدين من طلبة العلم وهيأت لهم الظروف المناسبة لتحصيله ورفاهية العيش، مما جعلها مثالا يحتذى به لبقية المدارس الأخرى التي أنشأت بعدها، وقد أنفق نظام الملك على بناء نظامية بغداد نحو مائتي ألف دينار وبنى حولها أسواقا وابتاع ضياعا وحمامات ومخازن ودكاكين وجعلها وقفا عليها[2]. وقد كانت المدرسة النظامية والمدارس التي شيدت بعدها شبيهة بالجامعات في سعة عمرانها وتنوع العلوم التي تدرس فيها،وما فيها من الخدمات التي تقدم للطلبة والمدرسين مما يحتاجونه من مسكن وأموال تتعلق بالإعاشة والصحة والكسوة وغيرها من الخدمات الضرورية، ومن هذه المدارس النظامية والمستنصرية ببغداد، ومدارس أخرى بالشام والقاهرة[3] ،وفي نظامية بغداد كان يدرس بها 6000 طالب بالمجان[4]. إن الخدمات المتكاملة التي تقدمها المدرسة من أموال الوقف المرصودة لهذا الشأن للطلبة والمدرسين جعلهم يتفرغون للعلم[5]، فمن المنتسبين إلى المدرسة النظامية من لازمها مدة طيلة معتمدا

---

1 ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العربية، بيروت،ط1، 1992، ج16، ص91. أبو محمد عبد الله اليافعي اليمني المكي: مرآة الجنان، ج 4، ص64. ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط 1، 1997، ج16، ص5. زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1996، ص360. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، ص253.

2 محمد القطري : الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د،ط)، (د، ت)، ص62.

3 سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام، ص76.

4 محمد بن عبد العزيز: الوقف في الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، (د،ط)، 1996، ص72.

5 ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أمد الشيباني البغدادي :الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص64.

من كتبائهم، مثل أبو العباس أحمد بن ثابت الطرطوشي (ت 520 هـ/1126 م) ، عاش في المدرسة النظامية أربعين سنة لا يخرج منها إلا إلى صلاة الجمعة[1].

ومن إيراداتها المالية التي وقفها عليها نظام الملك قد وصلت إلى 15.000 دينار ذهبي في العام تنفق في تسديد مرتبات المدرسين وما يدفع للطلبة، وكل ما يشمل مئونة الطعام والكسوة وما يتعلق بحاجاتهم الصحية من دواء وغيرها من الخدمات كما بلغت نفقات نظامية أصفهان 10.000 دينارا سنويا[2]، فقد اهتم نظام الملك بترتيب الرواتب المالية للطلبة والمدرسين وألغى عن الطالب عبء دفع الراتب لمدرسه مقابل ما يعلمه من دروس، وبذلك أصبحت الدولة هي التي تتكفل بتسديد الراتب بدلا عن الطالب[3].

لقد جرت العادة أن تتكفل المدرسة بإيواء الطلبة ببناء الغرف والبيوت الخاصة بسكنى المدرسين والطلاب والمعيدين وسائر العاملين، فكانت النظامية وغيرها من سائر المدارس التي تقدم مثل هذه الخدمات تلقى إقبالا واسعا عليها في سبيل الإقامة بها لما تقدمه لهم من علم ميسر وخلوة وانقطاع للدرس وجيرة طيبة وأوقاف حسنة[4]. كان يصرف للمدرسين العاملين بالمدرسة النظامية مرتبات مجزية، ويرى بعض الباحثين أنها أول مؤسسة تعليمية كانت تدفع للمدرسين أجرا على تعليم العلوم وقد وقف نظام الملك عليها أوقافا عظيمة يصرف منها لتسديد ما يلزم من الخدمات المختلفة للطلبة والأساتذة[5]، ولما أمر ببناء غيرها من المدارس في سائر الأمصار والبلاد، ووقف لها الأوقاف الوافرة[6]. وقد زودت النظامية بمساكن للطلبة للإيواء وبيمارستان للرعاية الصحية ومكتبة، وكانت تقدم تلك الخدمات مجانا، مع منح الطالب دينارا ذهبيا كل شهر ليستعين به في مختلف شؤونه[7]. وقال ابن الجوزي أن

---

1 نفسه، ص64.

2 محمد علي الرجوب: المرجع السابق، ص176.

3 عماد عبد السلام رؤوف: المرجع السابق، ص13 14.

4 نفسه، ص25.

5 محمد القطري: المرجع السابق، ص62.

6 ابن الأثير: المصدر السابق، ج8، ص481.

7 مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص221.

نظام الملك أخرى لمستحقيها لكل واحد أربعة أرطال[1] خبز كل يوم[2]. وأورد ابن جبير وصفا لأوقاف المدرس ومنها النظامية عندما زار بغداد سنة 580 هـ/1184م وقال هذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم ولهذه البلاد في أمر هذه المدار[3]. وفي النص إشارة واضحة على وفرة الأوقاف المسخرة لهذه المدارس واستمرارها على المنتسبين إليها من الطلبة والمدرسين[4] من خلال ما تدر به تلك الأوقاف من العوائد المالية التي تنفق في شؤون المؤونة وأرزاق المنتسبين إليها. كما خصص في هذه المدرسة العظيمة بناء خاص للمكتبة، والتي ورد ذكر لها باسم دار الكتب في بعض الأحيان، وكانت هذه الدار تحت رعاية الخلفاء والعلماء، فزودوها بالكتب النافعة التي أوقفها العلماء عليها، كما كان لها خزنة ومشرفون يتولون إدارة شؤونها ورعاية طلاب العلم الوافدين إليها[5]. ويبدو أن أوقاف المدرسة النظامية ظلت مستمرة لفترة طويلة حيث يشير ابن جبير إلى أن أوقافها لا تزال مستمرة على منتسبين إليها عندما شاهدها سنة 504 هـ/ 1110 م[6]. وقد ذكر ابن الجوزي أن نظام الملك كان ينفق كل سنة في بغداد مائتي كر[7] وثمانية عشرة ألف دينار[8]، لذلك يظهر أن أوقاف نظام الملك لم تقتصر على المنتسبين إلى المدرسة النظامية بل شملت فئات أخرى من المجتمع ولعلها شريحة الفقراء والمحتاجين[9].

---

1 الرطل البغدادي: الرطل الشرعي وهو 130 درهما ويساوي 609.375 غ فالترهنس: المكاييل والأوزان الإسلامية. ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، مطبوعات عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، عمان، ط2، 2001، ص31.

2 ابن الجوزي: المنتظم، ج 16، ص 102 .

3 ابن جبير : المصدر السابق، ص205.

4 عبد الحسين مهدي الرحيم :الخدمات العامة في بغداد(400 656هـ/1009 1258م). دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،ط1 ،1978. ص180.

5 يحي وهيب الجبوري: بيت الحكمة ودور العلم في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، ص74 75.

6 ابن جبير: المصدر السابق، ص205.

7 كُرّ: في القرن الخامس الهجري كان الكر الكبير أو الوافي في بغداد والكوفة يساوي 60 قفيزا: كل قفيز 8 مكاكيك كل مكوك 3 كيلجات كل كيلجة 600 درهم من القمح = 2700 كغم . فالترهنس : المرجع السابق، ص 69.

8 ابن الجوزي: المنتظم : ج16، ص304.

9 عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص31.

ومن خلال هذا النظر والتحقيق في الشواهد التاريخية نقر يقينا أن المدرسة الإسلامية قد نشأت قبل القرن الرابع الهجري، وقد توهم من قال أن نظام الملك هو أول من أنشأ المدارس في الإسلام، كما يتبين لنا كذلك أن البحث في أمر أول مدرسة في الإسلام ومكان نشوئها يصعب تحديده.

كما يتضح لنا كذلك أن إقليم نيسابور خاصة والشرق عموما هي أول الأقاليم الإسلامية التي أنشأت بها المدارس، ثم انتقلت بعد ذلك فكرة تأسيس المدارس إلى بقية الأقاليم الأخرى في العالم الإسلامي.

وفي بلاد الشام أقيمت أول مدرسة في دمشق سنة 91 هـ/1097م، ثم انتشر بناء المدارس في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي منذ عام 567 هـ/1171 م الذي يعد أكبر مؤسس لها بعد نظام الملك بسوريا وفلسطين ومصر، وظهرت بعد ذلك بالمغرب الإسلامي بما يقارب القرن.

تعتبر المدارس التي أسسها نظام الملك أول عمل رسمي قامت به الدولة الإسلامية لتنظيم الدراسة والحركة التعليمية عموما، وتوفير الظروف المناسبة لأداء عملية تعليمية نموذجية، وتهيئة مستلزماتها وحاجاتها المالية، بتقديم الرواتب والنفقات للمعلمين والمتعلمين، واتباع نظام معين فيما يتعلق بالتدريس والإدارة والإيواء والمأكل والمشرب .

كما يمكن اعتبار نظام الملك من السبّاقين الذين فطنوا لاستخدام المدارس لتكوين نخبة مسلمة مثقفة ثقافة عالية أساسها العلم والإيمان للتصدي للأخطار المحدقة بالإسلام دينا ودولة ومقارعة الحجة بالحجة.

ويمكن اعتبار عمل نظام الملك أيضا ذا أهمية كونه بداية عصر جديد من ازدهار الحركة التعليمية حيث أصبحت السلطة الرسمية من السلطان ورجال الدولة مولعين بتأسيس المدارس احتذاء بما فعل هذا الوزير.